الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 34

منزلة المراقبة (الجزء الأول)

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الامين وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته واستقام على شرعه الى يوم الجمع والدين، منزلة اليوم هي منزلة المراقبة وهي من اعظم منازل اياك نعبد واياك نستعين، ومقام المراقبة يعني تطبيق وتنزيل التوحيد عمليا، ومنزلة تدل على يقين وعلم العبد بقرب الرب، والمراقبة بمقتضى الاسماء والصفات، ولله سبحانه وتعالى اسماء جليلة، وصفات تحقيق هذه الصفات والنظر اليها عند السلوك والتعبد بما في هذه الاسماء والصفات من معاني نستشعرها ونحسها فمن هذه الاسماء السميع معناه انك اذا تكلمت خافيا او تكلمت بين الناس قبل ان يسمع الناس كلامك سمع الله عز وجل كلامك، وهذا يعني انك سوف تجزى وتحاسب به، فاذا استشعرت حين الكلام ان هنالك رب يسمع الكلام ويحاسب عليه قبل ان يحاسب عليه الناس، كنت دقيقة في الفاظك وحذرا في عباراتك، والعليم من الاسماء الجليلة التي تعني احاطة الله بمخلوقاته، وانه لا تخفى عليه من افعالهم واقوالهم وسكناتهم خافية، فعندها تشعر بمعاني من الايمان، وسلوك يشوبه الحذر والتردد في الافعال، مما يجعلك بطيئا في المعصية والحفيظ من اسمائه تعالى.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ وهو يحفظ للعبد اقواله، ويحفظ للعبد افعاله، وذلك في اللوح المحظوظ ومكتوب بكتابة الملائكة وقالوا ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ والحفيظ الذي لا ينسى في كتاب ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ افعال فعلناه واقوال قلناها،

ومع مر الدهور والازمان نسيناها، ولكن الله عز وجل لم ينسها سبحانه والرقيب السميع العليم الحفيظ الرقيب الذي يراقب العباد ويطلع عليهم وليس مجرد اطلاع انما اطلاع يطلع الله على عباده اطلاع هيمنة، يهيمن عليهم، ولذلك قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ وكذلك الشهيد الذي لا تخفى عليه خافية والذي يشاهد العباد والذي يشهد عليهم ولذلك الشاهد شهيد، ورد الشاهد في القرآن ورد الشهادة بمعنى الشهيد في قوله تعالى ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ شهيد مش معناه ان مات في سبيل الله، شهيد معناه الذي وقف يشهد، فالشهيد من اسمائه سبحانه وتعالى، بعض الايات في القرآن تبعث في النفس معاني المراقبة، ومن ذلك قوله تعالى تأمل معي هذه الاية، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ شوف لما يجي الليل الدنيا في الليل قدامك شوف الطول ده كله والبحار دي يا اخي البحار دي في الليل حاجة مخيفة انك انت سفينة بالليل.

انت لما تركب فيها شوف الكلام ده كيف، قال لك ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ هذه الاية تبعث في النفس رهبة، وتجعل الانسان يحس بقرب الله وبانه مهما لن يستطيع ان يتخفى عن عين الله، الاية الثانية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ هاي عجيبة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ ولذلك فاحذروه فانك تستطيع وبامكانك ان تخادع الناس جميعا، وان تتحايل على اللوائح والقوانين والانظمة، لكن لست ان تخفع او ان تختفي عن عين الله، الاية الثالثة تأمل الاية، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ هذي الايات تكاد تحيط باقطار النفس البشر فلا تجعل شاردا ولا وارد في حياة الناس والافراد والمجتمعات الا وهي وقد احصاها الله، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ هذا ادق انواع الاسرار.

ما سوف تحدث به نفسك غدا، يعلمه الله، بكرة حتقول، انت ما عارف بكرة المناظر حتمر على شو؟ بكرة حتقول لنفسك شنو؟ ذلك يعلمه الله، ومن هذه الايات ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾؟ ومن هذه الايات ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ يعني مدثر بالليل، مستخدم بالليل ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿لَهُ

مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ هذه الايات لا نجهلها، لكن نستطيع ان نتحرك على ضوئها، قليل منا الذي يستشعر مراقبة الله واطلاع الله وحفظ الله واحاطة الله بعباده، تمر علينا مناظر وصور عارية ومسلسلات فاضحة ومناظر قبيحة، ولذلك المراقبة تقوي وازع الايمان في النفس، ويترك الانسان المعصية تقربا وتعبدا لله عز وجل وهو يستشعر ويحجبه ان الله يطلع عليه.

لذلك الجنيد رحمه الله سأله سائل قال له بما نغض ابصارنا؟ يقول والله يقولك اصلي الفجر في الجامع لكن لكن في تلفزيون معاينة شريفة شيل التليفزيون واضرب به البلاط بس له حتة حتة، معناه ما حيعمل يعني، قلت له يا اخي ما تقطع دينك؟ من الاول ما تمسحه، قال ما قادر، يقول لك ما قادش، قال الجنيد، تغض بصرك بعلم ان نظر الله اليك اسبق من نظرك اليها، اذا علمته ان نظر الله اليك اسبق من نظرك الى الحرام تستطيع عندئذ ان تغض البصر، ولذلك تخلف العمل عن العلم كثير من الناس اذا سألته في الاطار النظري هل تؤمن بان الله يراقبه؟ هل تؤمن بان الله يطلع عليك؟ هل تفعل؟ يقول والله صحيح، انا اؤمن بهذا الكلام، لكن لا يستطيع ان يقوم عليه، لا يستطيع ان يطبق هذا الكلام، لو قلت له هذه الايات ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الم يعلم بان الله يرى؟

الزول بيكون عاصي، وقت المعصية بيكون ولا حاسي ولا مستشعر والله قاعد يعلمه، لو كان انتفض على المعصية، وهذا الذي جعل كثير من الناس مراقبة الله تلازمه وتمنعه عن العصيان، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله لانه مراقب الله وبيتكلم والله قدامه، قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك، لذلك السبب الرئيس في العصيان غياب مراقبة الله في السر والعلن، ولذلك ورد عن بعض السلف انه وجد الرجل يعصي الله، قال له ان كنت تؤمن بان الله يرى فانت عابث ومخلط، وجري على العصيان ومستهزئ بربك، وان كنت تؤمن انه لا فقد كفرته، الحرامي بيسرق بالراحة، المختلس بيفتلس، ويحاول الا يجعل خلفه دليلا يقود اليه، والذي يريد ان يفجر لامرأة اما ان يركب المظلل من ظنا ان التظليل يمنعه عن الله، مسكين، البوليس يشوفه، ولكن الله اطلع عليك يركب المظلل، لعله لا يخشى الله، يخشى الناس، لو انه يخشى الله ابتداء لما عصى الله، معناها ما خايف من الله خايف من الناس، وقس على ذلك الحرامي يجي بالليل وبعد ما الناس يموتوا وزمان الحرامية كانوا يتمسحوا بالزيت.

ده خايف من الناس ولو خايف من ربنا، كل المعاصي التي تقع انما تقع بسبب غياب مراقبة تعالى بعض الناس يخلو فيعصي، اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رخي، ولا تحسبن الله يغفل ساعة لا تخفى عليه خافية، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ تربية عجيبة، في شيخ كان يرى ويأنس في طالب من طلابه الفهم العميق قال له الشيخ؟ قال لي وامشي اصبح في مكان لا يراك فيه احد، كل يوم الا الطالب النجيب، الشيخ قال له ما ذبحته ما لك؟ قال ما من مكان الا ويران فيه ربي، وانت قلت لا يراك احد هذا المعنى البسيط هو معنى المراقبة لذلك لقمان احنا في عصر العولمة لنربط المراقبة بالعولمة نحن في عصر العولمة لن تستطيع ان تمنع اطفالك من النظر، ما احد تمنعه، ليه؟

كان بصيت في بيتك بيمشوا عند الجيران وكان انت ما قاعد يمشوا وكان انت قاعد بيزوغوا منك بعد شوية تقول وينه؟ يقول لك قاعدين في اسلام اكاديمي بتعمل شنو؟ التربية الامثل التربية الذاتية التربية بغرس لقمان ده امر ولده باوامره، وقال له ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يعني قال لهم اي حاجة حتى لو كانت تساوي حاجة، مهما تنسى في اي مكان فان الله عز وجل يعلمها، مهما تكن عند امرئ من خليقة وان خانها تف على الناس تعلم، قال ليه مهما الله بيعرفها؟ لقمان اراد ان يعطي ولده تربية قويمة، ليه؟ لان في حسابات لقمان انه يمكن ان يموت، الولد سوف يتخلى عن القيم، لان ارتباطه بالقيم ارتباطه بابيه، ابوه ما في خلاص، يمكن للولد ان يسافر مع اقدار الحياة ومجاريها فسبل الحياة والعيش تفرق بين الوالد والولد كيف سيفعل الولد؟

وقد قال ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ كيف للولد ان ينفذ هذا الكلام؟ ما هو الضمان؟ ظمان الايمان باقوى انواع التربية يقول له دا حرام ودا حرام للتربية القويمة التربية على مراقبة الله تعالى في السر والعلن، لان الله عز وجل قال ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ وقول خائنة الاعين دلالة على ان النظر الى المحرمات خيانة، وكأن الجوارح تكذب وتخون، كما ان الكذب يكون باللسان يكون الكذب بالجوارح، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ وخائنة الاعين كما قال ابن عباس الرجل يكون عند القوم في بيتهم فاذا رأى او سمع صوت انثى فاذا به وقد طأطأ رأسه بطرف بصر ينظر الى انثى اهل داره ويتطلع لها، اختلس النظر وسرقوا القروش اهون، القروش اهون من الاعراض، ولذلك ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ هذه المراقبة مهمة في عصرنا، انها تقوي جوانب الايمان وتزيد في اليقين، فتجعل العبد قريبا من ربه، وهو يستشعر اطلاع الله عليه وخوفه من الله وخشيته ان يراه الله في موقف مريب او موضع مشين يتحرك.

ويمتنع، ولذلك اذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية الى الطغيان، فاستحيي من نظر الاله وقل لها ان الذي خلق الظلام يراني، هذا اجل درجات الايمان، يقول ابن القيم رحمه الله المراقبة دوام علم العبد، وتيق باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، المراقبة ان تراقب الله في ظواهرك، لا تعصي الله ابدا بالظاهر، واجل انواع المراقبة ان تراقب الله بباطنك فلا يلتفت، قلبك الى غير الله، يبقى ان الناس اذا التفت قلبك الى غير الله لا يعرفون، ولكنه اذا التفت قلبك الى غير الله علم الله التفات قلبك الى غيرك، فاجل انواع المراقبة ان تراقب الله بباطنك وتراقب الظواهر بالطاعات وتراقب القلب بالاخلاص والمعرفة بان لا يلتفت القلب الى غير الله تعالى، وكذلك يقول ابن القيم من راقب الله في خواطره حتى في الاشعة اللي بتفكر فيها، يا اخوانا انت الاشياء اللي في نفسك الله بحاسبك عليها، لا تحب ان تقول شي يكرهه ولو كان سرا، وهذا من عمق الحب ومن عظمه، لذلك قال ابن القيم من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه، وهذا صحيح معنى جوارحك بتكون فيها شيء من العصمة.

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى علامة المراقبة، فلان ده يراقب الله وفلان ما بيراقب الله، العلامة شنو؟ المراقبة ايثار ما انزل الله، ايثاره يعني تفضيله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله، الحاجات اللي ربنا بيشوفها صغيرة نشوفها صغيرة، بنشوفها عظيمة تعظمها، في اشياء ربنا قال عظيمة للبيت الحرام عظمه الله، لذلك ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ طيب، قال ابن القيم ايضا رحمه الله في المراقبة، قال الرجاء تكلمنا عنه يحرك الطاعة الى الطاعة، والخوف يمنع من المعصية، والمراقبة نفجر حقائق الايمان في النفوس، صحيح، انت كان عندك رجاء قوي في الله بتعمل طاعات، وكان خائف من الله الخوف يمنعك والرجاء يعينك على الطاعة والمراقبة تفجر حقائق اليقين والايمان في دواخلك طيب قال ابو حفص وهو احد علماء السلوك والتربية كان يقول لابي عثمان النيسابوري قال له اذا جلست الى الناس الناس قعدوا حولك دي فتنة كبيرة بالمناسبة اذا جلست الى الناس فكن واعظا لقلبك ونفسك، قلبك ونفسك خليك ماسكك قوي ما تخلي قلبك يزول الى الناس والى الخلق، ليه؟

قال ولا يغرنك اجتماع اليك فان الناس يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك، صحيح، انت ممكن تكون قاعد مع الناس، الناس يسمحوا لي، وعندي كلمة واي كلام اقوله مشوه، وما تكسروا لي كلام، وبحترموا لي احترام شديد، بقول الكلام ده، لكن الناس عارفين عنه شنو؟ شايفين انك في الشكل ده كويس؟ لكن الناس لا يعرفون حقيقتك الذي يعلم حقيقة امرك ربك الذي يطلع على قلبك على اتجاهاته ومقاصده وعلى كيفيته وعلى عباداته ومقاماته، لذلك جلوس الناس الى العالم ان لم يعصمه الله يضره، وكثرة الجماهير

تفتنه، فمن يكون عند الجماهير والناس يلاقوه ويقول لك والله ما شاء الله والدروس ونحن مبسوطين؟ والناس دي كلها مبسوطة من الدروس بتاعتك؟ يا اخي ده فتنة كبيرة خالص، يعني ده مخلي الزول يكون في فتنة وفي انقطاع لانه يوم ان يلتفت، العالم الذي جلس اليه الناس الى الناس فقد انقطع عن الله واخذ حظه واجره من الناس حاضرا، ولا حظ له يوم القيامة، لانه قد اخذ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ ولذلك هذا كلام صحيح، طيب ندخل بعد ذلك في كلام صاحب المناسك.

قال صاحب المناسك المراقبة دوام ملاحظة المقصود، المقصود هو رضا الله عز وجل، دوام يعني ان المراقبة لا تغيب عن العبد، في زول مرات بكون ملاحظ الله، ومرات ننسى طوالي يستفتح يسمع الغناء دي من اخطر الشهوات المنتشرة في عقلنا سماع الاغاني شغلوا المسجل يسمع الغنا ومبسوط كثير من الشهوات وكثير من المعاصي في هذه المسألة فقوله دوام ملاحظة المقصود يعني بذلك دوام استحضار القلب لما يقصد اللي بيترنح في الشارع بتاع البانجو اي طفل تقول له داير رضا الله ولا غضب الله؟ يقول لك رضا الله تتمنى شنو؟ يقول لك الجنة، الدائر الله يغضب عليك يقول لك لا اعوذ بالله، سكران وهكذا لكن دوام ملاحظة المقصود غائبة من الناس من يلاحظ المقصود ولكن ليس دوما ودوام ملاحظة بحضور المقصود دوما في القلب، ان تكون في كل حركاتك وسكناتك مستيقن بانك تريد رضا الله، فاذا فعلت فاذا ايقنت بذلك فعلت الخير وتجنبت الشر طيب قال المراقبة وهي على ثلاث درجات، هذا كلام الدرجة الاولى مراقبة الحق تعالى في السير اليه على الدوام، اخوانا والله دي حاجة عجيبة خالص، على الدوام.

وده فيه من الايمان الجليل، ايمان جليل، مراقبة قال مراقبة في السير اليه على الدوام، انت سائل الله تراقبه على الدوام، لا يخيب عنك ابدا، ولا تغفل عن رضاه ابدا، رضاه، على الدوام، وده اللي بيخلي كتير من الناس لا يقع في المعصية وان كان عنده من الاغراء والاغواء ما عنده، حتى ولو اغوي واغري فانه لا يقع في المعصية، بعض الناس يضحي باشياء كثيرة حتى بشغله، يكون في شغله دايرينه يعمل عمل غلط، وهم يشيلوه، لانه ابو يمشي معاملة معينة غلط، ويكون المدير متفق مع احتماله والتاجر الكبير، يقوم يمنع الموضوع ده، يقوموا بس يشيلوه يرموه بعيد عشان يمشوا للزول ده ويعني اموره في المصلحة دي، في ناس بيضحوا باشياء كثيرة، لكنه فقد كل شيء، من الدنيا وكسب نفسه، وكسب ضميره، وقبل ذلك فاز برضا ربه، طيب قال صاحب المدارك بين تعظيم مذهل ومداناة حاملة وسرور باعدة، ده كلام عجيب، يعني مدارج شنو؟

السالكين، بين منازل السفر بوقوف المنازل، انت ماشي من هنا لبورسودان، دي منازل السير، السير الى الله يقف عند هذه المنازل، ليتزود اجل هذه المنازل منزلة المراقبة، والسير الى الله معنوي لكنه كالسيل الحسي، يتنقل الانسان في منازل احيانا ينعس، واحيانا ينشط في بعض المنازل، الى ان يصل لكن لابد ان يصل، واحيانا يتعب واحيانا يفتر واحيانا ينشط واحيانا يتزود لا بد يجيب ياكل واحيانا وهكذا الى ان يصل قال المراقبة لتفضي الى شيء، الى تعظيم مبهم، بمعنى اذهله تعظيمه لله فمن كثرة تعظيمه لله صار مجهولا، يذهله تعظيم الله يصيبه بذهول ليس عن الله عن غير الله، امتلأ لله تعظيما، ابن القيم ان منازل السير كثيرة قال بعض الناس قال الف منزلة، وبعضهم قال مائة منزلة، قال ابن القيم ومنازل السير الى الله بعدد الانفاس، انت تسير الى الله بعدد انفاقك، شفت مع كل نفس يا قريب من الله يا بعيد يا قريب من الله يا بعيد من الله، عشان كده ليساءل كل واحد منا نفسه اين هو من الله؟

هل انت قريب من الله؟ طيب ما علامة هذا القرب؟ قال ابن القيم الحضور مع الله يوجب للعبد انثى ومحبة، هل انت تأنس بالله؟ لما تكون مع ربنا وتذكر شو؟ بتكون وما داير اي زول يجيك ولو جاتك الدنيا دي كلها تشتغل بها، ام ان انسك بالناس من انسك بالله قال عثمان ابن ابي دهرش رحمه الله ولقد كان السلف يأنسون بالليل حيث يخرجون من الخلق الى الله واذا جاء النهار قالوا اقبل علينا النهار ببثه وحزنه ما في زول بيقول لك الله قال الرسول يا نظن في فلان يا نظم في علان يا في الجريدة الفلانية يا في كذا عالمهم اوهام وخيالات اللاعب الفلاني سجلوه ربنا قال ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ لكن شوف الختام ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ قال ليك امش الدنيا دي، دايما تمشي في مناكبها وانت مستحضر ان اليه شنو؟ اليه النشور عشان تنضبط انت كأن مشيت في مناكبها بدون واليه النشور دي بتعذب الدنيا دي كلها، لكن كان قال لك اليه النشور بنقول يوم القيامة؟

معناها ربنا قال ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ الاية دي للصحابة، الدنيا برضو عندها حق، لكن نحنا يقول لنا ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، اخوانا معنى الكلام شنو؟ معنى الكلام معالجة الموضوع كالاتي، انت تشتغل في شغل عيالك، تمشي تشتغل مراجع قانوني، تراجع الشركات، وتمشي البنك المرابحة او قلاب ما عندك مشكلة، وتعمل ليك حاجة كبيرة، اول حاجة تشكر الله وكان دكتور تفتح عيادة بالصباح والمسا يقول لك والله الامور كترت علي لازم افتح عيادة اقول لك ما في مشكلة احد يحطها هنا لكن الاشكال وين؟ الاشكال في ان تجعل هذا تعبدا لله، طلب المعيشة تعبد، تجعل اهدافك، والاحسان الى الاخرين، خير من اليد السفلى، واذا عندك شغل بيشتغلوا معك ناس اخرين، لكن

تقصد بذلك وجه الله وتجعل من ميدان العمل محراب طاعة، كيف؟ لا تعصي الله في عملك ابدا، وتخضع للحلال والحرام في اثناء المبايعة والشراء، ولذلك تجعل من تجارتك عبادة، اذا انت لا تعتبر انما تعتبر عابد، عابد وانت في المتجر، عابد وانت في المصنع، عابد وانت في الحقل.

لماذا؟ بجعل مقاصدك نفع الناس، واستغناء النفس، وعون الاسرة، والقيام بمسئوليات الحياة، وتربية الابناء، واللقمة يضعها الرجل في زوجته له بها اجر، وكفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول، معناها تجعل من ميادين حياتي محرابا، بيديك بيعة بتكسر التليفون تستفتي، البيعة دي كده حلاوة ولا حرام؟ قال لك حرام؟ ان شاء الله بتجيب مليار؟ تقول له ما دايرة، انت جعلت العمل عبادة، لكن كيف يا اخواننا؟ انسي بالله ضعيف، اللي بيجي يصلي وهو يحس ويستحضر انه بين يدي ملك الملوك وعلام الغيوب، وان الله قد اقبل عليه وانه يعبد ربا وانه يحقق عبادة بالجوارح خشعت في صلاته، واستلذ هذا موجود الان واستلذ في طاعته وتمتع بعبادته، وهذا ضعيف في حياة الناس، لماذا؟ لان يصلون بباب شأن وفكر مشقق في اودية الدنيا ومضمارها صح ولا ما صح؟ شوف يصلي بسرعة يقول داخل عليه شيء معناها معنى هذا الكلام ان تأنس بالله الناس كالدواء تتعامل مع الناس باعتبارهم دواء ما تعمل علاقات اجتماعية وقاعدات وعشاء وتسقط الناس وتقعد تضحك ولحد الصباح، تتعامل مع الناس باعتبارهم دواء، يا اخوان انت زوج بياخد دوا اكتر من النازل؟

الدواء بمقدار، وتتعامل مع العلماء باعتبارهم هواء، الزول بيستغنى من الهوى؟ اي زول بالله وبيقربك لله دا عالم، العالم دا؟ بتموت في فكرك، بتموت في اقبالك، في اقبالك على الله وهكذا، عرفتوا؟ بين تعظيم مذهل من كثرة تعظيمه لله، زحل عن بقية الخلق واصبح لا يرعى لهم بالا ولا يهتم بهم ولا يلتفت اليهم ولا يطلب منهم تعظيما ولا رفعة فان اراد رفعة وعزة طلب ذلك من الذي يملك ذلك على الحقيقة هو الله جل جلاله مالك الملك اسمع يا اخوانا شوفوا الانس بالله من العبادات الغائبة، الانس بالله، طيب ابن القيم هنا عنده مسألة يرى ان الحضور حضور القلب الدائم مع الله يوجب محبة وانثى، السؤال هل انت ممن يأنس بالله؟ شوف الانس بالله، قال ورجل ذكر الله خاليا، فذكر عظمة الله، وجلاله، وذكر عيوب نفسه واقاتها فبكى، ففاضت عيناه، طيب لكن ابن القيم يرى قال شوف بين تعظيم مذهل ومداناة حاملة، قال الدنو من الله يحملك على تعظيمه، يعني كل ما تقرب من الله كل ما تعظم الله فعلا، كلما زدنا تعظيما لله استغنيت عن شنو؟

عن خلق الله كلما ازددت قربا من الله كلما ازدت تعظيما لله وكلما ازدت تعظيما لله كلما ازددت استغناء عن خلق الله، ليش يا اخوانا تستغني عن خلق الله؟ فيما يمكن ان يكون بين الناس، التفاتك الى المخلوقين طلب ثنائهم، وطلب العز وطلب المكانة في قلوبهم والى غير ذلك هذا لا يكون ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ قال كل يدعي وصلا بليلة ليلة دي اصلا عند العرب رمز المعشوقة عند العرب رمزا معشوقا ورمز المحبوبة، فيقول لك مثلا مجنون ليلى، ليلى، ليلى هي دلالة او علامة انثى، او رمز الانثى، بعض اللي عندهم انحراف في الاعتقاد، وهذا معنى باطل، لانه لا يجوز شرعا ان اعشق الله لان معنى العشق فيه نقص، ولكن يجوز ان تقول احب الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ودايما يقول ايه؟ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ نعم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ لكن لا يجوز ان تقول ربنا يعشق ولا العباد يعشقونه لانه من صفات النقص والله منزه عن شنو؟

عن النقص يعني كل يدعي وصلا بليلة اذا ادعى انسان انه على حق ولم يكن على حق، يقول لك كل يدعي وصلا بليلة، عرفته؟ ده معنى شنو؟ معنى ليلى، لكن الغريب انه ليلة تجد لكن واحد يمدح يقول لك يا ليلى ده غزل ما عنده علاقة بمدح المصطفى عليه الصلاة والسلام ده كلام باطل، ينبغي الا يقر عليه عرفته؟ طيب قال تعظيم مذهل ومداناة حاملا يعني المداناة يعني معناها الدنو يعني القرب من الله يحملك على ماذا؟ على تعظيم مذهل تعظيم تصل به الى درجة انك اذا عظمت الله تبخل عن مخلوقاته فلا تلتفت اليها ولا ترى لها امام الله قيمة لانك تنظر الى المتكبر الجبار العظيم وكذا، فالخلق تراهم وكأنهم لا يساوون شيئا، تعظيم مذهل ومداناة حاملة على هذا شنو؟ على هذا التعظيم، هنا ذكر ابن القيم معنى عظيم، قال يا اخوانا التعظيم مع الدنو انت بتعظم الله، وقريب منه معناها عبد الله، ما معنى العبادة ليه؟

ابن القيم يرى ان العبادة حب وتعظيم، العبادة حب شنو؟ وتعظيم، يرى ان التعظيم بغير حكم لا معنى له، انت بتعظم لك زول ما بتحبه، ده معناه رهبة، ما في عبادة كده، والحب بغير تعظيم، ناس كويسين وافاضل بتحب لكن ما عندهم تعظيم، شايفهم زي واحد يعني ما في فرق بيناتهم، اما التعظيم مع الحب للعبادة، وفعلا دي العبادة الحقيقية، والعباد لله عز وجل يحبونه ويعظمونه، وبذلك يحققون عبوديته سبحانه، الكلام ده مهم جدا، طيب ثالثا قال بين تعظيم مذنب ومداناة حاملة وسرور باعث ما معنى وسرور باعث؟ اذا عظمت الله وتقربت منه تفرح بهذا او لا تفرح، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ تعظيمك اياه لله وقربك منه يولد في نفسك فرحة، ويبعث على سرور عظيم، حتى قال العلامة

رحمه الله وهذا سرور والفرحة واللذة والمتعة لا تضاهيها متعة الا متع الجنة، فان فرح القلب بالقرب من الله لا يكون الا حالا من احوال اهل الجنة، لذلك قال بعض العارفين انه لتمر بالقلب لحظات، يهتز فيها طربا، بانسه وقربه من الله، لو ان اهل الجنة في مثل ما انا من النعيم انهم طيب عيش لذلك يسمي ابن القيم الفرح بالقرب من الله جنة الدنيا في حاجة احسن منها العمارات الجلد النوافير في البيوت النجف الجنين السمحة وريني احسن من القرب من الله شنو؟

لجنة الدنيا شوف الكلام ده كيف؟ ده سرور القلب بالله، وفرحه به قرة عين للمرء لا يشابهها شيء من احوال اهل الدنيا، سرور القلب بالله وفرحه به وقربه من الله يحس بمعان من الراحة والطمأنينة والسكينة فيجد للعبادة لذة وللطاعة نفعة العبادة عند بعض الناس اعباء وتكاليف يصلي العشاء بسرعة يقول لك يا اخي مش هنمشي من النوم مرتاحين، ما داير اي مشاكل، والنبي يقول عليه الصلاة والسلام ارحنا بها، وليس ارحنا منها نحن ارحنا شنو؟ منها، ولا سرعة اول ما الامام يتقدم يقول ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ واقف في الصف الاول، في ناس بتبالغ ومبالغة شديدة، يا اخي انت ما لك على الناس انت عارف الناس جايين من السوق تعبانين، وعارف انه في ناس ماشيين يحصلوا مباراة المريخ مع الاسماعيلي، خفف للناس كويس؟ في حاجات زي دي؟ يا اخي والله غلط، السرور والانس والقرب من الله، معنى وسعادة لا يجد صاحبها الا ان تماثلها شيء من احوال الدنيا، لذلك ابن تيمية كان يقول، لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من السعادة القلبية لجالدونا عليها بالسيوف، خذوا كل دنياكم واتركوا فؤادي حرا طليقا.

فما ملككم ولا ملك ابائكم يساوي عندي جناح بعوضة، مع ربي؟ لذلك هذه حالة عجيبة، ذكرها، قال عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان، معنى الايمان عنده حلاوة، عنده طعم تشعر به وتحسه ذاق طعم الايمان، من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا نبيا، نختم الدرجة الاولى من درجات المراقبة ونواصل بقية الدرجات الدرجة الثانية والثالثة في درس الاثنين القادم باذن الله تعالى، نختم بشيء ابن القيم يرى ان من عبد الله وفعل الصدقة قال فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت شنو؟ يمينه منع منكر اعان على معروف فعل خير، عمل شيء كويس، طيب اذا عمل هذا الشيء الطيب ذكر قراءة قرآن اذا لم يجد لهذا العمل حلاوة في قلبه وانشراحا في صدره فليتهم العمل وليتهم نفسه، من عمل عمل خير وفعل طاعة ولم يجد لها لذة ومتعة وانشراحا في صدره وحلاوة في قلبه يتهم عمله ليه؟

قال لانه من اسمائه تعالى الشكور، الشكور الذي يأمر عباده بالطاعة، ويعينهم على الطاعة، اللهم اعنا على ذكرك وشنو؟ وشكرك وشنو؟ وحسن عبادتك، يعني الله كان ما اعانك ما بتعان، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فالشكور يأمر بالطاعة، ويعين عليها ويثيب على الطاعة ثوابان، ثواب في الدنيا بانشراح وطمأنينة ووجود عواقب الطاعة في النفس حلاوة وانشراحا في الاخرة يدخلك الجنة، اليس هو الشكور؟ من اسمائه الشكور ومن الشكور انه يثيب العامل على عمله في الدنيا بحلاوة يجدها لهذه الطاعة في قلبه وقوة وانشراحا وقرة عين وسعادة وسرور وفرح بالله عز وجل هذه المعاني في عصرنا معاني نظرية ولا يجد حلاوة هذه المعاني الا من اراد ان ينزل هذه المقامات الايمانية والمنازل التعبدية نكتفي بهذا القدر.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/34/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك	يوتيوب	تيليجرام	قناة واتساب	إكس
MohammedSayedHaj	@msayedhaj	@msahaj	قناة الشيخ	@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com